جرح الأقران
" ابن منده وأبو نعيم نموذجاً "

✍ إعداد الدكتورة

أبـــرار بنت فـــهد القاســـم

أستاذ مساعد السنة النبوية وعلومها

كلية التربية بالمزاحمية، جامعة شقراء

المملكة العربية السعودية

جرح الأقران "ابن منده وأبو نعيم نموذجاً"

أبرار بنت فهد القاسم

قسم السنة النبوية وعلومها- كلية التربية بالمزاحمية- جامعة شقراء- المملكة العربية السعودية.

البريد الالكتروني: aalqasm@su.edu.sa

الملخص:

تناول البحث أقسام كلام الأقران ووضح أنه ضربان : كلام حق صائب وكلام باطل خطأ، وكل منهما نوعان: كلام لَيّن وكلام قاسي. بين أسباب كلامهم في بعض ودواعيه ، أُجملها في أربعة أسباب: الغيرة والمنافسة، وطبيعة البشر فلم يسلم من الطعن أحد، والخلافات العقدية الموجبة للنفرة، واختلاف الاجتهاد مع التعصب وعدم الإنصاف. أجاب عن سؤال : هل الجرح من الغيبة؟، بين منهج العلماء في ذلك. حرر الخلاف بين ابن منده وأبي نعيم، أبطل التهم التي نُعت بها أبو نعيم حين وصف بـــ **(الأشعرية والتشيع)**. أن الاختلاف حق لكل شخص إن كان معه البينة والدليل وله أجر إن اجتهد وأخطأ، وأجران إن اجتهد وأصاب، لكن وحدة الصف واجتماع الكلمة واجب أمميّ، ومن مقتضيات الحكمة تقديم مصالح المجتمع، واعتبار إصلاحه إصلاحًا للأفراد دون العكس. وأن العلماء لا يحسدون بالمعنى المذموم البغيض، وإن كان ينشأ بينهم نوعٌ من التنافس قد يجر إلى قليلٍ من الحسد فينشأ عنه كلام سوء، وخروج عن الجادة. ومن أهم التوصيات التي توصل إليها البحث: - العناية بتحرير الاختلافات بين رجال الحديث الأفذاذ. - حصر تلك الاختلافات والخلوص بأسبابها. - وضع خطوات عملية لعلاج أسباب الاختلاف.

الكلمات المفتاحية: جرح، أقران، ابن منده، أبو نعيم، الاختلاف .

Dispraise of Peers

(Ibn-Mundah and Abu-Naiem as an example)

Abrar Fahad ALkasim

Islamic Studies Department, Faculty of Education, Muzahmiya, Shaqrah University. KSA.

Email: aalqasm@su.edu.sa

ABSTRACT:

The research dealt with peer speech and clarified that it is in two divisions: right words and false ones, which are in two types, namely soft talk and tough talk. The reasons for their talk format are four. The present research addressed the sorts of peers' statements, i.e. sound statements and void statements where each type comprises two subtypes; soft statements and firm statements. -Explained reasons for their testimonies against each other and causes thereof, which I summarize in four; Jealousy, competition, nature of humans, doctrine differences and Ijtihad differences with prejudice. -Answered the question: "Is dispraising deemed backbiting?" and illustrated scholars' approach therein. -Recorded disagreement between Ibn-Mundah and Abu-Naiem, and invalidated charges ascribed to Abu-Naim when labeled (Ash'ari and Shiaa).

-Disagreement is a right granted to whoever has evidence, where if he exerts effort and makes right decision, he will be double rewarded; while if he commits a mistake; he will have single reward. However; unity of community's body and opinion is national duty, and wisdom requires favoring society's benefits. 6-Scholars do not envy, however a

competition may arise and bring up misstatements and deviation from the path.

Recommendations: ١-Consider recording differences between the Men of Hadith. ٢-Enumerate reasons of differences. ٣-Establish practical steps to remedy.

Keywords: Dispraise_peers - Ibn Mundah - Abu Naiem - disagreement.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل الاختلاف سنة كونية ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾(١)، والحمد لله الذي شرع لتباينا الذي فُطرنا عليه الأمر بالاعتصام ونبذ التفرق﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا(٢)﴾، والصلاة والسلام على رسوله المبعوث بالمكرمات، جمع الله ببعثته فُرقتنا، ولَّم به شعث أمتنا،أكرم الأصفياء، الداعي إلى سلوك المحجة البيضاء، وعلى آله السادة النجباء، وصحابته وأزواجه البررة الأتقياء الأنقياء، والتابعين لهم بإحسان مادامت الأرض والسماء.

أما بعد:

فالاختلاف أم مركوز في الطبائع البشرية والفِطَر الإنسانية، ولا يمكن تصفيته من صفوف البشرية لأنه من السنن الكونية، وقد يورث هذا الاختلاف خلافات منها مقبولة ومنها مردودة، كما حدث بين بعض العلماء الأفاضل ، وبعض تلك الاختلافات أفرزت نفرة ووحشة كما حصل بين ابن منده وأبي نعيم، وهو محور حديثي في هذه البحث لأميط اللثام عن سبب ذاك الاختلاف.

وقبل أن أدلف في صميم البحث لابد من بيان (مشكلته، وحدوده ، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطته، والدراسات السابقة)

- **مشكلة البحث :**

تكمن مشكلة البحث في أن الإمامين: ابن منده وأبو نعيم كلاهما من كبار المحدثين، والمقدمين على غيرهما في الحفظ والإتقان وقع بينهما خلافا، ولّد نفرة ووحشة ، فجاء هذا البحث ليميط اللثام عن سبب ذاك الاختلاف وموقف العلماء منه، مع التعريج على كلام الأقران بعضهم في بعض متى يقبل ومتى يرد، وما أسبابه.

---

(١) سورة هود ١١٨

(٢) سورة آل عمران ١٠٣

ومن هنا تتضح لنا مشكلة البحث الأساسية .

- **حدود البحث:**

ستنحصر الدراسة في الخلاف الحاصل بين ابن منده وأبي نعيم ، وأسباب وأقسام كلام الأقران .

- **أهداف البحث :**

١. معرفة أقسام كلام الأقران .
٢. بيان أسباب كلام الأقران في بعض.
٣. معرفة هل الجرح من الغيبة.
٤. بيان منهج العلماء في جرح الأقران.
٥. تحرير الخلاف بين ابن منده وأبي نعيم.

- **منهج البحث :**

سأسلك – إن شاء الله – في بحثي المنهج الاستقرائي التحليلي.

- **إجراءات البحث :**

سأقوم بإذن الله تعالى بالإجراءات التالية :

- أعرف المصطلحات الغامضة .
- أفصل فيما يحتاج لبسط ، وأجمل ما أحسب أنه بحاجة لإيجاز.
- أورد كل مبحث في صفحة مستقلة.
- هناك إجراءات تعد من قبيل مسلمات البحث العلمي والتي لا يليق أن يخلو منها بحث كعزو الآيات ، وتوثيق الأقوال، والعزو للمصدر الأصلي، ونحوها فهذه لا نطيل بذكرها لأنها من مسلمات البحوث العلمية الأكاديمية.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة ، ومبحثين، ومطالب، وخاتمة :

مقدمة: وهي هذه، وتشتمل على أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، ومنهج البحث.

المبحث الأول: مبحث الجرح ، ويشتمل على ما يلي:

المطلب الأول: تعريف جرح الأقران .

المطلب الثاني : هل الجرح من صور الغيبة ؟
المطلب الثالث : أقسام كلام الأقران بعضهم في بعض.
المطلب الرابع : أسباب كلام الأقران بعضهم في بعض.
المبحث الثاني: تحرير الاختلاف، وفيه مطالب :
المطلب الأول : ترجمة موجزة لابن منده.
المطلب الثاني : ترجمة موجزة لأبي نعيم.
المطلب الثالث : منهج العلماء في اختلاف ابن منده وأبي نعيم.
المطلب الرابع: منهج العلماء في جرح الأقران وكلامهم في بعض.

الدراسات السابقة :

قُدِّمت دراسات مقيدة في الخلاف بين الأقران عموما ، ولم يفرد خلاف أبي نعيم وابن منده أحد قبلي حسب اطلاعي في أوعية البحث.

فالحمد لله الوهاب الكريم الذي أعان على إعداده، وهَيّأ بفضله وتوفيقه إنهائه، ولايزال بي أُوَارٌ[1] لايُسدَّ، ولو راجعتُ البحث ألف مرة لخرجت في كل مرة بما يقيم اعوجاجه، فأقر بالقصور والتقصير، وأستغفر الله مما نَدَّ به فهمي، أو أخطأ فيه قلمي، أو قَصُرَ عنه علمي، فأنى لمن كُتب عليه النقص إكمالاً؟!

وأسأل الله التجاوز والستر والإحسان، والصفح والغفران، والتوفيق والسداد، والفتح والهدى والرشاد..

الباحثة

(١) شدة العطش. لسان العرب لابن منظور ٤/ ٣٥/ مادة أور.

المبحث: مبحث الجرح

المطلب الأول : تعريف جَرح الأقران

الجَرح لغة:

بفتح الجيم مصدر جَرَح؛ ويقال: جرح الحاكم الشاهد إذا عثر منه على ما تسقط به عدالته من كذب وغيره؛ وقد قيل ذلك في غير الحاكم، فقيل: جرح الرجل غض شهادته؛ وقد استجرح الشاهد. والاستجراح: النقصان والعيب والفساد(١).

الجرح اصطلاحاً:

قال ابن الأثير: وصف متى التحق بالراوي والشاهد سقط الاعتبار بقوله، وبطل العمل به(٢).

عرفه د. عبدالعزيز العبد اللطيف: وصف الراوي في عدالته أو ضبطه بما يقتضي تليين روايته أو تضعيفها أو ردها(٣).

الأقران لغة:

جمع قِرن، والقِرن بالكسر: الكفء والنظير في الشجاعة والحرب ويجمع على: أقران. وقد تكرر في الحديث مفردا ومجموعا، ومنه حديث ثابت بن قيس [بئس ما عودتم أقرانكم] أي نظراءكم وأكفاءكم في القتال(٤).

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة جرح ٢/ ٤٢٢
(٢) جامع الأصول لابن الأثير ١/ ١٢٦
(٣) ضوابط الجرح والتعديل لعبد العزيز العبد اللطيف ص٢٣
(٤)النهاية في غريب الأثر ٤/ ٨١

قال ابن منظور: القرن مثلك في السن، تقول هو على قرني: أي على سني، والقرين المصاحب[١].

قال الأصمعي: هو قرنه في السن بالفتح، وهو قرنه بكسر، إذا كان مثله في الشدة والشجاعة[٢]

القرين اصطلاحاً:

قال الحاكم: إنما القرينان إذا تقارب سنهما وإسنادهما [٣].

قال النووي:القرينان هما المتقاربان في السن والإسناد وربما اكتفى الحاكم بالإسناد، فإن روى كل واحد منهما عن صاحبه كعائشة وأبي هريرة، ومالك، والأوزاعي فهو **المدبج**[٤].

وقال ابن حجر: إن تشارك الراوي ومن روى عنه في أمرٍ من الأمور المتعلقة بالرواية مثل: السن واللقى وهو: الأخذ عن المشايخ فهو النوع الذي يقال له:**رواية الأقران** لأنه حينئذٍ يكون راوياً عن قرينه [٥].

(١) لسان العرب لابن منظور مادة قرن ١٣/ ٣٣١
(٢)تهذيب اللغة للأزهري الهروي ٣/ ٢٠٥
(٣) معرفة علوم الحديث للحاكم١ / ٢١٥ .
(٤) التقريب والتيسير للنووي ص: ٩٦
(٥) نزهة النظر لابن حجر ص٥٥ ، ٥٦ .

فكلام الأقران بعضهم في بعض قدحاً وطعناً وتجريحاً، عرفه د. عماد عبد السميع بأنه: طعن بعض العلماء المتعاصرين في الزمن في بعض بالثلب وذكر المعايب، لحسد أو عداوة، أو عدم معرفة ونحو ذلك[١].

❁❁❁❁❁

المطلب الثاني : هل الجَرح من صور الغيبة؟

قد عاب بعضُ من لا يفهم على أهل الحديث الكلام في الرجال، لأنهم لم يقفوا على الغرض من ذلك، ولا أدركوا المقصد فيه، وإنما حمل أصحاب الحديث على الكلام في الرجال، وتعديل من عدَّلوا، وجرح من جرحوا، الاحتياط في أمور الدين، وحراسة قانونه، وتمييز مواقع الغلط والخطأ في هذا الأصل الأعظم الذي عليه مبنى الإسلام وأساس الشريعة، ولا يُظَنّ بهم أنهم أرادوا الطعن في الناس والغيبة والوقيعة فيهم، ولكنهم بيَّنوا ضعف من ضعفوه، لكي يُعرف فتُجتنب الرواية عنه والأخذ بحديثه، تورعًا وحِسبة وتثبتًا في أمر الدين، فإن الشهادة في الدين أحق وأولى أن يُتَثَبَّتَ فيها من الشهادة في الحقوق والأموال، فلهذا افترضوا على أنفسهم الكلام في ذلك وتبيين أحوال الناس، وهو من الأمور المتعينة العائدة بالنفع العظيم في أصول الدين[٢].

قال ابن سيرين: لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ منهم وينظر أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم[٣].

---

(١) موقف علماء الجرح والتعديل من جرح الأقران (بين النظرية والتطبيق) د. عماد عبد السميع ص١٨

(٢) جامع الأصول لابن الأثير ١/ ١٣٠

(٣) تحفة الأشراف للمزي ١٣/ ٣٥٦

فالقوم كانوا أصحاب حفظ وإتقان، ورُبَّ رجل وإن كان صالحًا، لا يقيم الشهادة ولا يحفظها[١].

قال ابن كثير: وليس الكلام في جرح الرجال على وجه النصيحة لله ولرسوله ولكتابه والمؤمنين: بغيبة، بل يُثاب بتعاطي ذلك إذا قصد به ذلك.

وقد قيل ليحيى بن سعيد القطَّان: أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خُصماءك يوم القيامة؟ قال: لأن يكون هؤلاء خصمائي أحب إلي من أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمي يومئذ، يقول لي: لم لم تَذب الكذب عن حديثي؟!.

وقد سمع أبو تراب النخشبي أحمد بن حنبل وهو يتكلم في بعض الرواة فقال له: أتغتاب العلماء؟! فقال له: ويحك! هذا نصيحة، ليس هذا غيبة.

ويقال: إن أول من تصدى للكلام في الرواة شعبة بن الحجاج، وتبعه يحيى بن سعيد القطان، ثم تلامذته: أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وعمرو بن الفلاَّس، وغيرهم، وقد تكلم في ذلك مالك، وهشام بن عروة، وجماعة من السلف، وقد قال عليه الصلاة والسلام: « الدين النصيحة » [٢].

قال عفان بن مسلم: كنا عند إسماعيل بن علية جلوساً، قال: فحدث رجل عن رجل، فقلت: إن هذا ليس بثبت. فقال الرجل: اغتبته. قال إسماعيل: ما اغتابه و لكنه حكم أنه ليس بثبت[٣].

(١) جامع الأصول لابن الأثير ١/ ١٣٠
(٢) الباعث الحثيث لا بن كثير ص: ٣٦
(٣) التمييزلمسلم ص: ١٥

وأشار ابن كثير إلى قاعدة في التعامل مع جَرح الأقران بقوله: وقد تكلم بعضهم في غيره (فلم يُعتبر)، لما بينهما من العداوة المعلومة[١]. وسيأتي مزيد بيان في منهج تعامل العلماء مع جَرح الأقران – بإذن الله–.

❁❁❁❁❁

المطلب الثالث : أقسام كلام الأقران بعضهم في بعض

بعد تتبع الأبحاث والكتب التي اجتهدت في جمع كلام الأقران بعضهم في بعض[٢] أستطيع أن أقسم منهجهم في الردود على بعض على النحو التالي:

كلام الأقران بعضهم في بعض ضربان: كلام حق صائب وكلام باطل خطأ، وكل منهما نوعان: كلام لَيّن وكلام قاسي فهذه أربعة أقسام:

١. كلام حق لَيّن، فهذا كلام (مقبول مقنع)

٢. كلام حق قاسي، فهذا كلام (مقبول متحامل)

٣. كلام باطل لَيّن، فهذا كلام (مردود موهم)

٤. كلام باطل قاسي، فهذا كلام (مردود منَفِّر)

أمثلة ماسبق:

- كلام حق لَيّن: كقول أحمد بن حنبل في هشام بن عمار: طياش خفيف.

---

(١) الباعث الحثيث لابن كثير ص: ٣٦

(٢) ككتاب : كلام الأقران بعضهم في بعض لمصطفى باحو ، وكتاب موقف علماء الجرح والتعديل من جرح الأقران لد. عماد عبدالسميع، و كلام الأقران بعضهم في بعض أسبابه ونتائجه لد. أيمن محمود مهدي ، وغيرها.

قال الذهبي: أما قول الإمام فيه: طياش، فلأنه بلغه عنه أنه قال في خطبته: (الحمد الله الذي تجلى لخلقه بخلقه).

فهذه الكلمة لا ينبغي إطلاقها، وإن كان لها معنى صحيح، لكن يحتج بها الحلولي والاتحادي.

وما بلغنا أنه سبحانه وتعالى تجلى لشيء إلا جبل الطور، فصيره دكا.

وفي تجليه لنبينا، ﷺ، اختلاف أنكرته عائشة، وأثبته ابن عباس.

وبكل حال كلام الأقران بعضهم في بعض يحتمل، وطيه أولى من بثه إلا أن يتفق المتعاصرون على جرح شيخ، فيعتمد قولهم[1].

- كلام حق قاسي: كما وقع بين محمد بن عثمان بن أبي شيبة وأبي جعفر محمد بن عبدالله مطين الحضرمي، قال أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي: فوقع بينه وبين محمد بن عبد الله بن سليمان مطين الحضرمي كلام، حتى خرج كل واحد منهما إلى الخشونة والوقيعة في صاحبه، فأجريت بعض ما بينهما فقلت لمحمد بن عثمان بن أبى شيبة بعد أن سمعت المكروه من كل واحد منهما في صاحبه: ما هذا الاختلاف الذي وقع بينكما قال روى مطين، عن عبيد بن يعيش، عن مصعب بن سلام، (ثم ذكر تشنيعه على مطين بالخطأ في سند حديث) إلى أن قال أبو نعيم: ثم لقيت محمد بن عثمان ببغداد سنة تسع وثمانين وسنة تسعين وإحدى وهو يذكر مطينا بسوء، وبلغني أن مطينا يذكره أيضا بسوء، وأن تلك المقالات والمراسلات باقية بعد إلى تلك الغاية.....،حتى قال: وقد كنت وقفت على تعصب وقع بينهما بالكوفة سنة

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١١/ ٤٣٢

سبعين وعلى أحاديث ينكر كل واحد منهما على صاحبه، ثم ظهر أن الصواب الإمساك عن القبول عن كل واحد منهما في صاحبه[١].

- كلام باطل لَيّن:كقول ربيعة الرأي في أبي الزناد: ليس بثقة و لا رضي.

قال الذهبي: لا يسمع قول ربيعة فيه، فإنه كان بينهما عداوة ظاهرة، وقد أكثر عنه مالك[٢].

- كلام باطل قاسي:كما كان بين أبي العباس ثعلب و أبي العباس المبرد من المناقشة والعداوة ما لا يشرح حتى كان يكفر كل واحد منها صاحبه[٣].

❁❁❁❁❁

المطلب الرابع : أسباب كلام الأقران بعضهم في بعض

أُجمل دواعي جرح الأقران وكلام بعضهم في بعض في أربعة أسباب:

أولاً : الغيرة والمنافسة، فتفضي إلى مالا ينبغي من حسد وهجر ونفرة، كما حصل بين البخاري والذهلي، وابن حجر والعيني، ومطين وابن أبي شيبة، والسخاوي والسيوطي.

ثانياً: طبيعة البشر فلم يسلم من الطعن أحد، حتى رب العزة والجلال لم يسلم من الكلام فيه ونسبة ما لا ينبغي إليه، فكيف بالبشر مما قد تقع بينهم نفرة لأسباب عارضة، أو لسوء الظن والأخذ بالتوهم ونحوه، كما حصل بين النسائي وأحمد بن صالح، وأحمد بن صالح وحرملة بن يحيي، والنسائي والحارث بن مسكين.

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣/ ٤٣

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٤١٨

(٣) لسان الميزان لابن حجر ٥/ ٤٣١

ثالثاً: الخلافات العقدية الموجبة للنفرة، كما جرى بين ابن منده وأبي نعيم، وابن تيمية ومعاصريه، والذهبي والسبكي.

رابعاً: اختلاف الاجتهاد مع التعصب وعدم الإنصاف مما قد يولد الغضب وسوء الرأي والمبالغة في التخطئة، فتحصل النفرة والوحشة بينهما، كما وقع بين الطبراني وأبي علي النيسابوري، والإيجي وشيخه الجاربردي، وابن الصلاح والعز بن عبد السلام، والباجي مع ابن سهل.

المبحث الثاني: تحرير الاختلاف

المطلب الأول : ترجمة موجزة لابن منده،

((سيرته الذاتية))

اسمه:

محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، واسم منده: إبراهيم بن الوليد بن سنده بن بُطة بن أستندار[(١)] الأصبهاني[(٢)].

كنيته، ونِسبته:

يكنى بأبي عبد الله، وينسب إلى بلدته أَصبَهَانُ[(٣)].

---

(١) وأستندار سمة للجيش ، وأستندار اسمه الفيرزان بْن جهار بخت أسلم وقت الفَتْح وكان عَلَى بَعْض أعمال البلد. تاريخ أصبهان لأبي نعيم ٢/ ١٩٣

(٢) ذُكرت ترجمة ابن منده في: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧ / ٢٩، تاريخ الإسلام للذهبي ٢٧/ ٣٢١، لسان الميزان لابن حجر ٥/ ٧١، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢/ ١٦٦، تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/ ٢١٩، وغيرها من كتب التراجم.

(٣) منهم من يفتح الهمزة، وهم الأكثر، وكسرها آخرون، وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، ويسرفون في وصف عظمها ، فتحها عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة ١٩ للهجرة. وأصبهان: اسم للإقليم بأسره، وكانت مدينتها أوّلا جيّا ثم صارت اليهودية وكانت مدينة أصبهان بالموضع المعروف بجيّ وهو الآن يعرف بشهرستان وبالمدينة، فلما سار بختنصّر وأخذ بيت المقدس وسبى أهلها حمل معه يهودها وأنزلهم أصبهان فبنوا لهم في طرف مدينة جيّ محلّة ونزلوها، وسمّيت اليهودية.معجم البلدان للحموي ١/ ٢٠٦ –٢٠٩

وتقع أصبهان بين طهران و شيراز في الجنوب الشرقي من المقاطعة المركزية في وسط إيران تقريبا، وقد كانت قديماً عاصمة لإيران ، وعرفت باسم "نصف اى جاهان" أي نصف العالم، ونمت على مر السنين، بعد أن نهبت، ودمرت، وأعيد بنائها، وتم زخرفتها وتحديثها ، حتى أصبحت اليوم تضم قطعا أثرية من جميع أنحاء العالم وتشتهر =

مولده:

ولد سنة ٣١٠ أو ٣١١هـ بأصبهان (١).

نشأته:

نشأ وتربَّى في أسرة عُرفت بالدين والعلم،قال أبو علي النيسابوري: أبو عبد الله، من بيت الحديث والحفظ (٢).

قال الذهبي:

وقد أفردت تأليفا بابن منده وأقاربه، وما علمت بيتا في الرواة مثل بيت بني منده، بقيت الرواية فيهم من خلافة المعتصم وإلى بعد الثلاثين وست مئة(٣).

ولما بلغ ١٩ ربيعا ارتحل في طلب العلم، وطوف الأقاليم وبقي في الرحلة نحوا من أربعين سنة ثم عاد إلى وطنه شيخا فتزوج ورزق الأولاد (٤).

ولا شك أن نشأته في بيت علم مع ماحباه الله من قوة الحافظة و الهمة العالية، والصبر على الرحلة والجلد في التحصيل، له كبير الأثر على تكوين شخصيته المعطاءة المتجلدة، فأثمرت لنا مصنَّفات يانعة في مجالات عدة.

=

باحتضانها لعدد كبير من المعالم التاريخية، والمساجد والأسواق، والقصور الملكية، حتى أدرجت هذه المدينة ضمن مواقع التراث العالمي لليونسكو، وأصبحت طهران اليوم من أكبر ثلاث مدن في إيران، فتعتبر مركزاً اقتصادياً وصناعياً، كما تضم محطة نووية، ومصانع لتصنيع الصلب والسبائك، على الرغم من التطور الحديث الذي شهدته المدينة إلا أنها لا تزال تشتهر بجودة العمل اليدوي فيها مثل السجاد والمنسوجات الجميلة، والمنتجات الخشبية والمعدنية. الموقع الإلكتروني : دليل السياحة في إيران.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٢٩

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٢٧/ ٣٢١

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٣٨

(٤) لسان الميزان لابن حجر ٥/ ٧١

وفاته:

مات – رحمه الله – في ذي القعدة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة(١).

((سيرته العلمية))

تضلع –رحمه الله–من فنون عدة، ولم يقتصر نبوغه على فن الحديث، بل برع في علوم أخرى كالعقيدة والفقة والتفسير والتاريخ، يشهد لذلك تنوع مؤلفاته وكثرتها، منها على سبيل المثال لا الحصر(٢):

معرفة الصحابة وهو أشهرها.

الناسخ والمنسوخ.

التفسير.

الصلاة.

الرد على الجهمية.

دلائل النبوة، وغيرها.

رحلاته:

ارتحل وعمره تسع عشرة سنة إلى نيسابور وسمع بها نحوا من خمس مائة ألف حديث.

---

(١) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢/ ١٦٦، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٣٨

(٢) أوسع من ذكر مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة والمفقودة والمنسوبة إليه – بحسب علمي واطلاعي– د. عمر المقبل في رسالته الدكتوراه (منهج الحافظ أبي عبدالله ابن منده في الحديث وعلومه ، دراسة موازنة) عَدّها ٤٣كتابا.ص٨٤

قال ابن حجر: وطوف الأقاليم وكتب بيده عدة أحمال وبقي في الرحلة نحوا من أربعين سنة ثم عاد إلى وطنه شيخا فتزوج ورزق الأولاد وحدث بالكثير وكان من دعاة السنة وحفاظ الأثر(١).

وسمع ببخارى من الهيثم بن كليب الشاشي، وطائفة.

وسمع ببغداد من إسماعيل الصفار، وأبي جعفر بن البختري الرزاز وطبقتهما.

وسمع بمصر من أبي الطاهر أحمد بن عمرو المديني، والحسن بن يوسف الطرائفي، وأحمد بن بهزاد الفارسي وأقرانهم.

وبسرخس من عبد الله بن محمد بن حنبل.

وبمرو من محمد بن أحمد بن محبوب ونظرائه.

وبدمشق من إبراهيم بن محمد بن صالح بن سنان القنطري، وجعفر بن محمد بن هشام، وابن أبي العقب، وخلق.

وبطرابلس خيثمة بن سليمان القرشي.

وبحمص الحسن بن منصور الإمام.

وبتنيس عثمان بن محمد السمرقندي.

وبغزة علي بن العباس الغزي.

وسمع من خلق سواهم بمدائن كثيرة.

(١) لسان الميزان لابن حجر ٥/ ٧١

ولم أعلم أحدا كان أوسع رحلة منه، ولا أكثر حديثا منه مع الحفظ والثقة(١).

وحدث عن خلق كثير، لقيهم بأصبهان وخراسان والعراق والحجاز ومصر والشام وبخارى، وأقام بما وراء النهر زماناً(٢).

أبرز شيوخه وتلاميذه:

شيوخه: كان ابن منده – رحمه الله – مُحبًا للعلم شغوفًا به، كثير الرحلة لطلبه والسماع من أفواه المشايخ، وكان أول سماعه سنة ٣١٨ هـ، وعمره آنذاك بين ٧ و٨ سنين.

فسمع من أبيه وأكثر عنه، ومن عم أبيه: عبدالرحمن بن يحيى بن منده، ومن حمزة بن أبي القاسم الكناني المصري، محدِّث الديار المصرية، ومن خيثمة الشامي أبو الحسن الطرابلسي، الإمام الثقة، محدِّث الشام، صاحب فضائل الصحابة، ومن غيرهم(٣).

تلاميذه:تتلمذ عليه – رحمه الله – عددٌ كبير من العلماء، وكثر الآخذون عنه، منهم:

إبراهيم بن محمد أبو إسحاق الأصبهاني، المحدِّث والحافظ الكبير، وأحمد أبو نعيم الأصبهاني، الحافظ الكبير صاحب التصانيف، وحمزة القرشي أبو

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٣٠
(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٢٧/ ٣٢٠
(٣) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢/ ١٦٦، تاريخ الإسلام للذهبي ٢٧/ ٣٢١، تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/ ٢١٩، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٣٢

القاسم السهمي، الإمام الحافظ، محدِّث جرجان، ومحمد أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، صاحب: المستدرك، وكان زميلاً لابن منده، وغيرهم (١).

مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه:

تميز بقوة حفظه وبكثرة شيوخه، وحرصه على السماع من أهل العقيدة الصحيحة، قال عن نفسه – رحمه الله –: طفت الشرق والغرب مرتين فلم أتقرب إلى كل مذبذب(٢)، ولم أسمع من المبتدعين حديثاً واحداً(٣).

وقال: رأيت ثلاثين ألف شيخ، فعشرة آلاف ممن أروي عنهم وأقتدي بهم، وعشرة آلاف أروي عنهم ولا أقتدي بهم، وعشرة آلاف من نظرائي، وليس من الكل واحد إلا وأحفظ عنه عشرة أحاديث أقلها(٤)

قال أبا نعيم عنه: كان جبلا من الجبال (٥).

قال الذهبي: الحافظ الكبير، رحل وطوف الدنيا، وجمع، وصنف، وكتب ما لا يحصر(٦).

---

(١) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢/ ١٦٦، تاريخ الإسلام للذهبي ٢٧/ ٣٢١، تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/ ٢١٩، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٣٢

(٢) ورجل مذبذب ومتذبذب: متردد بين أمرين أو بين رجلين. وفي التنزيل العزيز في صفة المنافقين سورة النساء: {مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ } لسان العرب لابن منظور مادة ذبب ١/ ٣٨٤

(٣) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢/ ١٦٦

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٣٥

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٣٢

(٦) تاريخ الإسلام للذهبي ٢٧/ ٣٢٠

وقال: ابن منده الحافظ الإمام الرحال... وكان ينازع أحمد بن الفرات ويراجعه وهو شاب.

قال أبو الشيخ: هو أستاذ شيوخنا وإمامهم(١).

وأحسن أبو علي النيسابوري الثناء عليه، وقال: ألا ترون إلى قريحته؟(٢).

وقال ابن حجر: الحافظ الجوال صاحب التصانيف، كان من أئمة هذا الشان وثقاتهم(٣).

وقال إسماعيل بن محمد التيمي الحافظ: سمعت عمر السمناني غير مرة يقول: ذكر أبي عبد الله بن منده عند أبي نعيم، فقال: جبلاً من الجبال.

وقال ابن طاهر: سمعت سعيد بن علي الحافظ بمكة يقول: وسئل عن الدارقطني، وابن منده، والحافظ عبد الغني بن سعيد، فقال: أما الدارقطني فأعلمهم بالعلل، وأما ابن منده فأكثرهم روايةً، مع المعرفة التامة، وأما الحاكم فأحسنهم تصنيفاً، وأما عبد الغني فأعرفهم بالأنسا**المطلب الثاني** : ترجمة موجزة لأبي نعيم.

((سيرته الذاتية))

اسمه:

هو أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مِهْرَانَ الأَصْبَهَانِيُّ الصوفي الأحول(٤).

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/ ٢١٩

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٢٧/ ٣٢١

(٣) لسان الميزان لابن حجر ٥/ ٧٠

(٤) ذُكرت ترجمة الحافظ أبي نعيم في: وفيات الأعيان لابن خلكان ٩١/١، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٩٥/٣، والعبر للذهبي ٢٦٢/٢، والوافي بالوفيات للصفدي٥٢/٧، وطبقات الشافعية ١٨/٤، وشذرات الذهب لابن العماد٣٥/١، وغيرها من كتب التراجم ، وتوسع

كنيته، ونِسبته:

يُكنى بأبي نعيم، وينسب إلى بلدته أَصبَهَانُ.

مولده:

ولد في رجب سنة ست وثلاثين وثلاث مائة على قول جماهير المترجمين، بمدينة أصبهان(١).

نشأته:

نشأ الحافظ أبو نعيم في قرنٍ حديثُ عهدٍ بالقرون المفضلة، إضافة إلى أنه ترعرع بين أبوين صالحين في بيت علم وتقوى، فأمه نشأت على المكارم والفضائل والزهد والورع في بيت أبيها الشيخ العالم الزاهد محمد بن يوسف البناء، نعته الإمام الذهبي بأنه:مجاب الدعوة (٢).

له مصنفات حسان في الزهد والتصوف، منها: كتاب " معاملات القلوب "، وكتاب " الصبر "(٣).

أما جده مِهْرَانَ فهو أول من أسلم من أجداده لأبيه، وهو مولى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه -(٤).

=

الشيخ مشهور بن حسن بن سلمان في مقدمة تحقيقه "لجزء إن لله تسعة وتسعين اسما" في ترجمته، إضافة إلى الرسائل العلمية التي أطالت في ترجمته كرسالة د. سعيد الغامدي (الأحاديث المرفوعة المعلة في كتاب حلية الأولياء من ترجمة طاووس بن كيسان إلى نهاية ترجمة مسعر بن كدام جمعاً وتخريجاً ودراسة)، وأول من افتتحت مشروع الأحاديث المعلة في كتاب معرفة الصحابة د. نعمات الجعفري ، وأشارت إلى استفادتها من ترجمة د. ناصر البابطين ، وهو أول مشروع (الأحاديث المعلة في كتاب الحلية) الذي أتمه د. سعيد الغامدي – وفقهم الله جميعا-

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ٩٢

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٦/ ٨٣٢

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٦/ ٨٣٣

(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ٩١

ووالده كان محدثاً رحالاً نعته الذهبي بقوله:" الحافظ الإمام " ثم قال عنه:" وكان صدوقاً، عالماً، بكّر بولده وسمّعه من الكبار " (١)، فمنذ صغره كان يرافق والده في مجالس السماع للتلقي عن عدد من المحدّثين(٢).

إضافة إلى أنه نشأ – رحمه الله– وترعرع في مدينة أصبهان التي اشتهرت بكثرة حفاظها، وطول أعمارهم، وكانت مركزاً علمياً عاش فيها جمعٌ من العلماء، ورحل إليها جمع آخر يقول ياقوت الحموي عنها:" وقد خرج من أصبهان من العلماء والأئمة في كل فن ما لم يخرج من مدينة من المدن، وعلى الخصوص علو الإسناد فإن أعمار أهلها تطول، ولهم في ذلك عناية وافرة بسماع الحديث، وبها من الحفاظ خلق لا يحصون"(٣).

فاستجاز له والده جماعة من كبار المسندين(٤)، وأجاز له مشايخ الدنيا سنة نيف وأربعين وثلاثمائة، وله ست سنين(٥)، فنشأ رحمه الله على العلم، ومن تربى عليه منذ صغره لابد أن يكسوه العلم بحُلَلِه.

وفاته:

مات أبو نعيم عن عمر يناهز أربعة وتسعين عاماً قضاها في العلم والتعليم والتصنيف، يوم الأثنين في العشرين من المحرم على قول الجماهير، سنة ثلاثين وأربعمائة، بأصبهان، رحمه الله تعالى(٦).

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٨١/١٦.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٤٥٤

(٣) معجم البلدان للحموي٢٠٩/١.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٤٥٤

(٥) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ١٩٥

(٦) وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ٩٢ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي٣/ ١٩٧

((سيرته العلمية))

تضلع –رحمه الله–من فنون عدة، وجمع بين الرواية والدراية، ولم يقتصر نبوغه على فن الحديث، بل برع في علوم أخرى منها:

١. الفقه: برع في الفقه الشافعي وترجم له السبكي بقوله: أبو نعيم الأصبهاني الصوفي الجامع بين الفقه والتصوف والنهاية في الحفظ والضبط(١).
٢. والقراءات: قال ابن الجزري: روى القراءات سماعًا عن سليمان بن أحمد الطبراني، روى عنه القراءات سماعًا أبو القاسم الهذلي(٢).
٣. والتفسير: ذكر ابن حجر في الفتح أن لأبي نعيم كتابا اسمه التفسير، قال:وقد استخرجه أبو نعيم من مسند إسحاق بن راهويه عن ابن نمير، وقال أخرجه البخاري عن إسحاق، وقال ((في التفسير)) أخرجه البخاري عن إسحاق بن منصور(٣).
٤. والأدب: له كتاب الشعراء، ولم يصل إلينا منه إلا المنتخب من الكتاب، ولا يُدرى من الذي انتخبه من الأصل، والكتاب يحوي جملة من أبيات منتقاة من قصائد لبعض الشعراء مروية بالأسانيد إلى قائليها، وآخره فصل في عدد من الأحاديث الواردة في الشعر وأهله(٤).

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/ ١٨

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ١/ ٧١

(٣) فتح الباري لابن حجر ٤/ ٤٠٧

(٤) طبع المنتخب من كتاب الشعراء ، بتحقيق إبراهيم صالح ، سنة ١٩٩٤م، وله طبعة أخرى في دار العلوم بتحقيق د.عبدالعزيز المانع سنة ١٩٨١م، مقدمة رسالة دكتوراه (الأحاديث المرفوعة المعلة في كتاب حلية الأولياء من ترجمة طاووس بن كيسان إلى نهاية ترجمة مسعر بن كدام) ص٢٠. ونشر الأستاذ يوسف العش في مجلة (المجمع العلمي) بدمشق تعريفا به. مقدمة تحقيق "جزء إن لله تسعة وتسعين اسما" ص٥٧.

٥. والتاريخ، والسير، والفضائل، وغيرها؛ يشهد لذلك تنوع مؤلفاته وكثرتها، منها على سبيل المثال لا الحصر(١):

١) كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.
٢) المستخرج على مسلم.
٣) المستخرج على كتاب علوم الحديث.
٤) تاريخ أصبهان.
٥) فضائل الصحابة.
٦) فضائل الخلفاء الراشدين.
٧) الرؤيا والتعبير.

وقد نعت ابن كثير كتبه بأنها مفيدة وكثيرة قال: الحافظ الكبير ذو التصانيف المفيدة الكثيرة الشهيرة، منها حلية الأولياء في مجلدات كثيرة، دلت على اتساع روايته،وكثرة مشايخه، وقوة اطلاعه على مخارج الحديث، وشعب طرقه، وله معجم الصحابة، وهو عندي بخطه، وله صفة الجنة، ودلائل النبوة، وكتاب في الطب النبوي، وغير ذلك من المصنفات المفيدة(٢).

---

(١) أوسع من ذكر مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة والمنسوبة إليه والكتب التي رواها – على حسب علمي واطلاعي– د.سعيد بن صالح الرقيب الغامدي في رسالته للدكتوراه (الأحاديث المرفوعة المعلة في كتاب حلية الأولياء من ترجمة طاووس بن كيسان إلى نهاية ترجمة مسعر بن كدام جمعاً وتخريجاً ودراسة) عددها : ٢٢ كتاباً مطبوعا ، و٩٢ مخطوطا ، و٥ كتب نسبت إليه خطأ، مجموعها ١١٩. وعَدَّ الشيخ مشهور بن حسن بن سلمان في مقدمة تحقيقه "لجزء إن لله تسعة وتسعين اسما" مجموع مصنفات أبي نعيم المطبوع منها والمخطوط والمفقود والمنسوب إليه خطأ ١٣١ . و زاد العدد لدى الشيخ مشهور لكونه ذكر عددا من الكتب باسمين ونبه على ذلك بقوله " لعله كتاب كذا المتقدم" أو " المتقدم برقم كذا" ، ويظهر أن لديه من أسماء الكتب ما لم يذكره الدكتور الغامدي، ولدى الغامدي ما لم يذكره الشيخ مشهور .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٥٦

رحلاته:

لم تذكر كتب التراجم تفاصيل رحلته وتنقلاته، لكنه بدأ الرحلة سنة ست وخمسين وثلاثمائة وعمره عشرون عاما، فسمع ببغداد: أبا علي بن الصواف وأبا بكر بن الهيثم الأنباري وطائفة كثيرة، وأجاز له جعفر الخلدي وأبو سهل بن زياد.

وسمع بمكة: أبا بكر الآجري وأحمد بن إبراهيم الكندي.

وبالبصرة: فاروق الخطابي، ومحمد العامري، وجماعة.

وبالكوفة: أبا بكر عبد الله بن يحيى الطلحي، وجماعة.

وبنيسابور: أبا أحمد الحاكم، وأصحاب السراج فمن بعدهم(١)، وأجازه شيخها أبو العباس الأصم.

وأجاز له من واسط: المعمر عبد الله بن عمر بن شوذب.

ومن الشام: شيخها خيثمة بن سليمان (٢).

وسمع بجرجان: من أبي أحمد الجرجاني(٣).

❁❁❁❁❁

أبرز شيوخه وتلاميذه:

شيوخه: استجاز له أبوه طائفة من شيوخ العصر تفرد في الدنيا عنهم، سبق ذكرهم في رحلاته، ومن أبرز من أكثر عنهم: سليمان بن أحمد أبو القاسم

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/ ١٩

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ١٩٥، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٤٥٤

(٣) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لابن النقطة ص: ١٤٥

الطبراني، وأبو بكر بن المقرئ، وابن فارس والعسّال، وأحمد بن معبد السمسار، وأبي علي بن الصواف، وأبي بكر بن خلاد، وروى عن طبقتهم.

تلاميذه: كان أبو نعيم رحمه الله ينفق وقته على تعليم طلابه وإفادتهم دون ملل، قال أحمد بن محمد بن مردويه:" كان حفاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده، فكان كل يوم نوبة واحد منهم يقرأ ما يريده إلى قريب الظهر فإذا قام إلى داره ربما كان يقرأ عليه في الطريق جزء وكان لا يضجر لم يكن له غذاء سوى التصنيف والتسميع " (١). منهم: أحمد الخطيب البغدادي، والحسن الأصبهاني أبو علي الحداد، وأخوه حمد أبو الفضل الأصبهاني، وغيرهم.

مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه:

كان لنشأة أبي نعيم في مدينة أصبهان الزاخرة بالعلماء، وطلبه العلم صغيرا،وكثرة سماعه، وإجازاته من الشيوخ في الأمصار التي رحل إليها، مقرونا بجده ومثابرته، وطول عمره مع كثرة تلاميذه أثراً كبيراً في مكانته العلمية، وقد أثنى عليه جمع من العلماء منهم: الخطيب البغدادي قال: لم أر أحدًا أطلق عليه اسم الحفظ غير رجلين أبي نعيم وأبي حازم العَبْدَوي(٢).

وأحمد بن محمد بن مردويه قال:" كان أبو نعيم في وقته مرحولاً إليه ولم يكن في أفق من الآفاق أسند ولا أحفظ منه " (٣).

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٥٩/١٧.
(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ١٨٢
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٥٩/١٧.

وحمزة بن العباس العلوي قال:" كان أصحاب الحديث يقولون:" بقي الحافظ أبو نعيم أربع عشرة سنة بلا نظير لا يوجد شرقاً ولا غرباً أعلى إسناداً منه ولا أحفظ منه " (١).

وابن نقطة قال:" رزق من علو الإسناد ما لم يجتمع عند غيره وصنف كتباً حسنةً وحديثه بالمشرق والمغرب وكان ثقة في الحديث عالماً فهماً "(٢).

وابن خلكان قال:" كان من الأعلام المحدثين، وأكابر الحفاظ الثقات، وأخذ عن الأفاضل، وأخذوا عنه، وانتفعوا به " (٣).

وشيخ الإسلام ابن تيمية قال:" من أكبر حفاظ الحديث، ومن أكثرهم تصنيفاً، وممن انتفع الناس بتصانيفه، وهو أجل من أن يقال له: ثقة، فإن درجته فوق ذلك " (٤).

والذهبي قال:" الإمام، الحافظ، الثقة، العلامة، شيخ الإسلام"(٥)،" الحافظ الكبير محدث العصر"(٦)، " وكان حافظاً مبرزاً عالي الإسناد تفرد في الدنيا بشيء كثير من العوالي وهاجر إلى لُقِّيه الحفاظ " (٧).وقال: "طائفة تفرد في

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ١٠٩٤/٣.
(٢) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لابن النقطة ص ١٤٥.
(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان ٩١/١.
(٤) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٧/١٨.
(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٤٥٤
(٦) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ١٩٥
(٧) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٥٩/١٧.

الدنيا بإجازتهم، كما تفرد بالسماع من خلق، ورحلت الحفاظ إلى بابه لعلمه وحفظه وعلو أسانيده "(١).

❁❁❁❁❁

المطلب الثالث : تحرير الخلاف بين ابن منده و أبي نعيم

ولّدت الخلافات العقدية بين ابن منده وأبي نعيم نفرة ووحشة شديدة بينهما، حتى أن ابن منده كان يمنع طلاب العلم الذين سمعوا من أبي نعيم من حضور مجلسه!

قال محمد بن عبد الله الطبراني: أيها الشيخ(٢)، فينا جماعة ممن يدخل على هذا المشؤوم – أعني أبا نعيم الأشعري –، فقال: أخرجوهم.

فأخرجنا من المجلس فلانا وفلانا، ثم قال: على الداخل عليهم حرج أن يدخل مجلسنا، أو يسمع منا، أو يروي عنا، فإن فعل فليس هو منا في حل.

قال الذهبي: ربما آل الأمر بالمعروف بصاحبه إلى الغضب والحدة، فيقع في الهجران المحرم، وربما أفضى إلى التفكير والسعي في الدم، وقد كان أبو عبد الله وافر الجاه والحرمة إلى الغاية ببلده، وشغب على أحمد بن عبد الله الحافظ(٣)، بحيث أن أحمد اختفى(٤).

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ١٩٥، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٤٥٤
(٢) ابن منده.
(٣) أبو نعيم.
(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٤١

فالقارئ لما دار بينهما يلمس شدة ابن منده، ولعل هذه الشدة ناتجة من طبيعة تكوينه البشري، أو ربما ناتجة من تأسيه بمنهج من يغلظ على المبتدع من السلف متأولين قول الله {وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}، فيتعبدون لله بالغلظة القولية والفعلية لكل مخالف لعقيدتهم.

أما أبو نعيم حين رأى هجر ابن منده مارس معه سياسة عدم المواجهة، فاختفى عنه، وهذا من الحكمة أن يبتعد الإنسان عن خصمه أو منازعه أو المغضب تجنبا لخصومة أعظم، ومشاحنات أشد، فعمر الإنسان أقصر من أن يقصره بالاسترسال بمثل هذه الخلافات التي تستنزف الوقت والجهد، وتُقسي القلب، وقد مدح الذهبي أبا نعيم لإنصافه خصمه حين قال عنه: كان جبلا من الجبال، فهذا يقوله أبو نعيم مع الوحشة الشديدة التي بينه وبينه(١).

❁❁❁❁❁

الخلافات العقدية المثيرة للخصومة:

تقرر في ترجمة ابن منده أنه على منهج السلف ولم يرو عن مبتدع، بل ويمنع أصحابه من حضور مجالسهم، إلا أن قرينه أبا نعيم رُمي بالأشعرية، والتشيع، ووقع بينهما خلاف حول مسألة: (اللفظ بالقرآن) هل هو مخلوق أم لا؟

دونكم تفنيد تلك التهم:

أولاً: نعته بالأشعرية (٢):

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٣٢

(٢) الأشاعرة فرقة كلامية كبرى، تنسب لأبي الحسن الأشعري المتوفى سنة (٣٢٤هـ) ظهرت في القرن الرابع وما بعده.

=

قال ابن الجوزي: سمع الكثير وصنف الكثير، وكان يميل إلى مذهب الأشعري في الاعتقاد ميلا كثيرا(١).

تحرير القول في أشعرية أبي نعيم:

تشهد أقوال أبي نعيم على براءته مما نسب إليه، فقد نقل ابن تيمية عنه نفي التأويل:" وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه " محجة الواثقين ومدرجة الوامقين " تأليفه: " وأجمعوا أن الله فوق سمواته عال على عرشه مستو عليه لا مستول عليه كما تقول الجهمية إنه بكل مكان"(٢). [١]

=

بينهم وبين أهل الحديث منازعات في أمور دقيقة لطيفة، كمسألة اللفظ، ونقصان الإيمان، وتفضيل عثمان، وبعض أحاديث الصفات، ونفي لفظ الجبر وغير ذلك من دقيق القول ولطيفه. التسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية بتصرف ١٠٣٢/٣

بدأت أصولها بنزعات كلامية خفيفة، أخذها الأشعري عن ابن كلاب تدور على مسألة كلام الله تعالى وأفعاله الاختيارية، مع القول بالكسب الذي نشأت عنه نزعة الجبر والإرجاء، ثم تطورت وتعمقت وتوسعت في المناهج الكلامية حتى أصبحت من القرن الثامن وما بعده فرقة كلامية، عقلانية، فلسفية، مقابرية، مرجئة جبرية. الملل والنحل ٨١/١ ، الفرق الكلامية ص٤٩ واللفظ له.

ومما يخالف أبو الحسن الأشعري أهل السنة فيه : أن صفات الله الاختيارية لا يثبتها صفات قائمة بالله تتعلق بمشيئته واختياره، بل إما أن يؤولها أو يثبتها أزلية وذلك خوفا من حلول الحوادث بذات الله. ويؤمن بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، لكن الكلام – عنده – أزلي، لا يتعلق بمشيئته وإرادته.موقف ابن تيمية من الأشاعرة للد. المحمود ٢/ ٥٠٦

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٥/ ٦٧٥

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٥/ ٦٠

وعَدَّ ابن القيم أبا نعيم أحد أئمة الزهاد والصوفية(١) أهل الاتباع وسلفهم، الذين يؤخذ بقولهم في الرد على المعطلة والمشبهة، فقال: قال أبو نعيم في رسالة: أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة وموعظة من الحكمة وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر... قال فيها: وإن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، والاستواء معقول والكيف مجهول، وأنه عز وجل بائن من خلقه والخلق بائنون منه بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة ؛ لأنه الفرد البائن من الخلق الواحد الغني عن الخلق وأن الله سميع بصير عليم خبير يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء فيقول: هل من داع فأستجيب له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى يطلع الفجر. ونزول الرب إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال. " (٢).

ونقل الحافظ الذهبي نصوصاً من كتاب الاعتقاد ومن ذلك قول أبي نعيم:" طريقنا طريق السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة، فيما اعتقدوه... "وذكر أشياء إلى أن قال: "إن الأحاديث التي تثبت في العرش واستواء الله عليه يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل، وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمائه من دون أرضه " (٣).

(١) المتتبع لكتبه والناظر لأقواله يجد أن تصوفه تصوف زهد وورع فقط وليس ابتداع في الدين.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ٢/٢٧٦.

(٣) العرش للذهبي ٢/٣٤٤.

فهذه النصوص تثبت موافقة عقيدة أبي نعيم لمذهب السلف وترد على من اتهمه بالأشعرية.

ثانياً:نعته بالتشيع[1]:

(١) الشيعة هم: الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص. وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا، وإما خفيا. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله.

ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر. والقول بالتولي والتبري قولا، وفعلا، وعقدا، إلا في حال التقية. ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك، ولهم في تعدية الإمام كلام وخلاف كثير. وعند كل تعدية وتوقف: مقالة، ومذهب، وخبط.

وهم خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية. وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيه. الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٤٦

والشيعة كفكر وعقيدة لم تولد فجأة، بل إنها أخذت طوراً زمنياً، ومرت بمراحل.. ولكن طلائع العقيدة الشيعية وأصل أصولها ظهرت على يد السبئية باعتراف كتب الشيعة التي قالت بأن ابن سبأ أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي، وأن علياً وصي محمد وهذه عقيدة النص على علي بالإمامة، وهي أساس التشيع كما يراه شيوخ الشيعة، وشهدت كتب الشيعة بأن ابن سبأ وجماعته هم أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرحامه وخلفائه وأقرب الناس إليه – رضي الله عنهم – والطعن في الصحابة الآخرين، وهذه عقيدة الشيعة في الصحابة كما هي مسجلة في كتبهم المعتمدة. أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية – عرض ونقد – للقفاري ١/ ٧٨

نُسبِ أبو نعيم إلى التشيع، وعَدَّه محمد باقر من علماء الشيعة في كتابه(١)، قال سبط المجلسي: " وممن اطلعت على تشيعه من مشاهير علماء العامة هو الحافظ أبو نعيم المحدث بأصبهان صاحب كتاب حلية الأولياء، وهو من أجداد جدي، ونقل جدي تشيعه عن والده عن أبيه عن آبائه حتى انتهى إليه... وهو من محدثي العامة ظاهراً إلا أنه من خُلّص الشيعة في باطن أمره، والتي يتقي ظاهراً على ما وافق ما اقتضته الحال.... ولما كان الولد أعرف بمذهب الوالد من كل أحد لم يبق شك في تشيعه " (٢).

تحرير القول في تشيّع أبي نعيم:

نترك أبا نعيم نفسه يرد عليهم في كتابه المطبوع ((الإمامة والرد على الرافضة)) فهذا الكتاب يكفي في الرد على الشيعة دعواهم الباطلة، فدَحض تهمتهم وجَلَّى زيفها، صنفه لتثبيت الإمامة والخلافة الأولى لأبي بكر الصديق ﷺ وأنه الرجل الذي أجمعت الأمة على إمامته بعد رسولنا صلوات ربي وسلامه عليه، ثم ثنى بإمامة عمر ﷺ وثلث بإمامة عثمان ﷺ وختم بإمامة علي ﷺ يعرض للشبهات التي يثيرها الروافض ويرد على الأحاديث التي يدعون زوراً وبهتاناً أنها تنص على خلافة علي بن أبي طالب ﷺ بعد النبي ﷺ مباشرة.

ويرد عليهم أيضا بمصنفه الآخر ((فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم))، بدأه بذكر فضائل أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ؛ فلو كان من أهل التشيع لما تجرأ أن يفعل ذلك في كتابه.

(١) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات لمحمد باقر ٢٧٢/١.
(٢) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات لمحمد باقر ٢٧٣/١.

وقد عُرفت عادة الروافض في التساهل بالكذب والتزوير، فنسبتهم لأبي نعيم إلى التشيع كذب وبهتان وهو منه براء.

ثالثاً: مسألـــة: (اللفظ بالقرآن) هل هو مخلوق أم لا؟

هذه المسألة ولدت عن فتنة القول بـ (خلق القرآن) التي انتصر لها المعتزلة وتصدى لها إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل –رحمه الله –،وصمد في وجه بركانها الثائر،فلما خمدت ثورتها ظهرت مسألة اللفظية (اللفظ بالقرآن هل هو مخلوق أم لا) وهي وليدة سوء للفتنة الأم، على يد: حسين الكرابيسي وغيره(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: من قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال غير مخلوق(٢).

وتحرير النزاع في هذه المسألة ليس هذا مقامها ولها مظانها(٣)، ويكفينا أن نعرف أنها مسألة مختلف فيها بين العلماء، قال شيخ الإسلام: و مسألة (اللفظ بالقرآن) قد اضطرب فيها أقوام لهم علم وفضل ودين وعقل، وجرت بسببها مخاصمات ومهاجرات بين أهل الحديث والسنة، حتى قال ابن قتيبة كلاما معناه: لم يختلف أهل الحديث في شيء من مذاهبهم إلا في « مسألة اللفظ ».

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٦/ ١٧٧

(٢) الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٦/ ٤٤٠

(٣) مقدمة فتح الباري لابن حجر ٤٩٢، رسالة في القرآن وكلام الله لابن قدامة المقدسي ص: ٥، مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٢/ ٣٣٣، الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٦/٤٤٠، درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/٢٦٨، وغيرها.

وبين أن سبب ذلك لما وقع فيها من الغموض والنزاع بينهم في كثير من المواضع لفظي(١).

وقال أيضا: وقع بين أبي نعيم الأصبهاني وأبي عبد الله بن منده في ذلك ما هو معروف وصنف أبو نعيم في ذلك كتابه في الرد على اللفظية والحلولية(٢).

ومال فيه إلى جانب النفاة القائلين بأن التلاوة مخلوقة، كما مال ابن منده إلى جانب من يقول إنها غير مخلوقة، وحكى كل منهما عن الأئمة ما يدل على كثير من مقصوده لا على جميعه، فما قصده كل منهما من الحق وجد فيه من المنقول الثابت عن الأئمة ما يوافقه(٣).

وكوني لم أقف على نص عبارة أبي نعيم في هذا الأمر فلا أدري هل قال: (لفظي بالقرآن مخلوق)، أو قال: (أفعال العباد مخلوقة) كما قال البخاري؟!

فهذا الأمر متوقف على إثبات القول عليه، والله أعلم بمقالته التي لم تصل إلينا.

ولو ثبتت عن أبي نعيم فلا تخرجه من دائرة الإسلام ولا وجه للشدة والغلظة والنفرة والخصومة في أمر ساغ اختلاف العلماء فيه ولكل أدلته.

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٢/ ٣٣٣

(٢) بعد البحث والتحري قيل لي أن المخطوط في الظاهرية برقم ١٠٩٦، ومصورتها في مركز جمعة الماجد برقم ف١٦٦٤، تقصيت عنها في الظاهرية فلم تُوجد في فهارسها، ولا وجود لها أيضا في مركز جمعة الماجد فتبقى في عداد المفقود.

(٣) درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢٦٨/١

ولم تقف شرارة هذه الفتنة عند هذين الإمامين بل امتدت نارها إلى طلابهما، وأصحابهما، وأتباع كل مذهب، وقد وصف لنا حجم المعاناة التي ولدها هذا الاختلاف المتعصب أبو العلاء محمد الفرساني حين قال: حضرت مجلس أبي بكر بن أبي علي الذكواني المعدل في صغري مع أبي، فلما فرغ من إملائه قال إنسان: من أراد أن يحضر مجلس أبي نعيم، فليقم.

وكان أبو نعيم في ذلك الوقت مهجورا بسبب المذهب، وكان بين الأشعرية والحنابلة تعصب زائد يؤدي إلى فتنة، وقيل وقال، وصداع طويل، فقام إليه أصحاب الحديث بسكاكين الأقلام، وكاد الرجل يقتل!!

ثم علَّق الذهبي على الحادثة: ما هؤلاء بأصحاب حديث بل فجرة جهلة، أبعد الله شرهم (١).

فالتعصب للرأي ينبت نابتة شاذة لا تؤمن إلا بوجهٍ واحدٍ، وتنكر الخلاف، وتنتصر للحق – في زعمهم – وهو دائماً معهم، ومن خالفهم رموه بكل كبير، واتهموه بالبدعة، والخروج عن الجماعة، وقد يحكمون عليه بالكفر، ويهدرون دمه(٢)، وكأن الله خلقهم ليتعبدهم بذلك ولاحول ولاقوة إلا بالله، فأسوأ العقول من تحول من كل اختلاف خِلافا وعِداءً.

الاختلاف حق لكل شخص إن كان معه البينة والدليل وله أجر إن اجتهد وأخطأ، وأجران إن اجتهد وأصاب، لكن وحدة الصف واجتماع الكلمة واجب أمميّ، ومن مقتضيات الحكمة تقديم مصالح المجتمع، واعتبار إصلاحه إصلاحًا للأفراد دون العكس.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧ / ٤٦٠ .
(٢) كلام الأقران بعضهم في بعض لمصطفى باحو ص٤١

المبحث الأول : منهج العلماء في اختلاف ابن منده وأبي نعيم

دأب العلماء على تلمس أعذار من زل منهم، ودفن زلاتهم في مقبرة حسناتهم، فإن كانت تلك الزلة ناشئة عن خصومة أو منافسة أقران فلا يلتفتون لها ويطوونها ولايروونها.

قال أبو نعيم: ابن منده حافظ من أولاد المحدثين، اختلط في آخر عمره، فحدث عن ابن أسيد، وابن أخي أبي زرعة الرازي، وابن الجارود بعد أن سمع منه أن له عنهم إجازة، وتخبط في أماليه، ونسب إلى جماعة أقوالا في المعتقدات لم يعرفوا بها، نسأل الله الستر والصيانة(١).

علق الذهبي على قوله: لا نعبأ بقولك في خصمك للعداوة السائرة، كما لا نسمع أيضا قوله فيك، فلقد رأيت لابن منده حطا مقذعا على أبي نعيم وتبديعا، ومالا أحب ذكره، وكل منهما فصدوق في نفسه، غير متهم في نقله بحمد الله(٢).

وقال الذهبي أيضا: وكان أبو نعيم كثير الحط على ابن منده، لمكان المعتقد واختلافهما في المذهب، فقال في تاريخه: ابن منده، حافظ من أولاد المحدثين، توفي في سلخ ذي القعدة، واختلط في آخر عمره، فحدث عن أبي أسيد، وعبد الله ابن أخي أبي زرعة، وابن الجارود، بعد أن سمع منه أن له عنهم إجازة، وتخبط في أماليه، ونسب إلى جماعة أقوالاً في المعتقد لم يعرفوا بها، نسأل الله الستر والصيانة.

(١) أخبار أصبهان لأبي نعيم ٩/ ٣٢٧
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٣٣

قلت: أي والله، نسأل الله الستر وترك الهوى والعصبية، فليس ذلك موجباً لضعفه، ولا قوله موجباً لضعف ابن منده، ولو سمعنا كلام الأقران، بعضهم في بعض لا تسع الخرق(١).

وقال في موطن آخر:

قد كان أبو عبد الله بن منده يقذع في المقال في أبي نعيم لمكان الاعتقاد المتنازع فيه بين الحنابلة وأصحاب أبي الحسن، ونال أبو نعيم أيضا من أبي عبد الله في تاريخه، وقد عرف وهن كلام الأقران المتنافسين بعضهم في بعض. نسأل الله السماح(٢).

قال ابن حجر: أبو نعيم الأصبهاني أحد الأعلام صدوق تكلم فيه بلا حجة لكن هذه عقوبة من الله لكلامه في ابن منده بهوى.

وكلام ابن منده في أبي نعيم فظيع ما أحب حكايته، ولا أقبل قول كل منهما في الآخر، بل هما عندي مقبولان لا أعلم لهما ذنبا أكبر من روايتهما الموضوعات ساكتين عنها، قرأت بخط يوسف بن أحمد الشيرازي الحافظ رأيت بخط بن طاهر المقدسي يقول أسخن الله عين أبي نعيم يتكلم في أبي عبد الله بن منده وقد أجمع الناس على إمامته، ويسكت عن لاحق وقد أجمع الناس على كذبه!

قلت: كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به ولا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، لا ينجو منه إلا من عصم الله، وما علمت أن عصرا من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى النبيين والصديقين، ولو شئت

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٢٧/ ٣٢٤
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣/ ١٥٩

لسردت من ذلك كراريس، اللهم فلا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم(١).

وقال في موطن آخر: بدع الحافظ أبو نعيم في جرحه لما بينهما من الوحشة، ونال منه واتهمه فلم يلتفت إليه لما بينهما من العظائم، نسأل الله العفو فلقد نال ابن منده من أبي نعيم و أسرف أيضا(٢).

قال ابن ناصر الدين الدمشقي: حاشا أئمة هذه السُّنة من الميل عن سنن الهدى أو الانحراف إلى قلة الإنصاف باتباع الهوى لكن بعض الأعيان تكلم في بعض الأقران مثل كلام أبي نعيم في ابن منده وابن منده فيه، فلا نتخذ كلامهما في ذلك عمدة بل ولا نحكيه، لأن الناقد إذا بحث عن سبب الكلام في مثل ذلك وانتقد رآه إما لعداوة أو لمذهب أو لحسد، وقَلّ أن يسلم عصر بعد تلك القرون الثلاثة من هذه المهالك ومن نظر في التاريخ الإسلامي فضلا عن غيره حقق ذلك وما وقع منه في الأغلب كان سببه المذهب(٣).

المطلب الرابع : منهج العلماء في جَرح الأقران وكلامهم في بعض

لم يغفل العلماء مايعتري النفس البشرية من نقص وحظوظ، وتبيان في الأفهام والطبائع، واختلاف طرائق التعامل مع الخلاف حتى بين الأفاضل والأكابر وبين من قطعوا الأميال في الرحلة والأسفار، ومن ثنوا الركب في مجالس العلم، لذا قَعّدوا لذلك قواعد منها: لايُقبل الجرح إلا مفسرا، ومنها: لاعبرة بجرح لم يصح سنده، ومنها: إذا ورد الجرح مقيدا لايحكم به على الراوي

(١) لسان الميزان لابن حجر ١/ ٢٠١
(٢) لسان الميزان لابن حجر ٥/ ٧٠
(٣) الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص: ١٩

مطلقا، ومنها: كلام الأقران يطوى ولايروى، وغيرها مما أصّلوه في هذا الباب، دونكم بعض أقوالهم في ذلك:

قال ابن عباس: استمعوا علم العلماء، ولا تُصدِّقوا بعضهم على بعض،فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغايُراً من التيوس فى زربها (١).

وقال أيضاً: خذوا العلم حيث وجدتم ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم في بعض فإنهم يتغايرون تغاير التيوس في الزريبة (٢).

وقال مالك بن دينار: يُؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء إلا قول بعضهم في بعض فلهم أشد تحاسداً من التيوس (٣).

وتكلم الإمام الذهبي عن أسباب رفض الجرح وعدم الاعتداد به فقال: ويلتحق بذلك ما يكون سببه المنافسة في المراتب، فكثيراً ما يقع بين العصريين: الاختلاف والتباين (٤).

وقال أيضاً: كلام الأقران بعضهم في بعض لا يُعبأ به، لاسيما إذا لاح لك أنه لعداوة، أو لمذهب، أو لحسد، وما ينجو منه إلا من عصمه الله، وما علمت أن عصراً من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس، اللهم فلا تجعل في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءُوفٌ رحيم(٥).

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ص ٤٣٥ .
(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ص٤٣٥.
(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم ٢ / ٣٧٨ ، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ص٤٣٥
(٤) لسان الميزان لابن حجر ١ / ١٠٩ .
(٥) ميزان الاعتدال للذهبي ١ / ١١١ .

قال ابن حجر: اعلم أنه قد وقع من جماعةٍ الطعن في جماعةٍ بسبب اختلافهم في العقائد، فينبغي التنبُّه لذلك، وعدم الاعتداد به إلا بحق (١).

وقال التاج السبكي: ومما ينبغي أن يُتفقَّد عند الجرح: حال العقائد واختلافها بالنسبة إلى الجارح والمجروح، فربما خالف الجارح المجروح في العقيدة فجرحه لذلك، وإليه أشار الرافعي بقوله: وينبغي أن يكون المزكُّون برآء من الشحناء والعصبية في المذهب خوفاً من أن يحملهم ذلك على جرح عدل، أو تزكية فاسق، وقد وقع هذا لكثيرٍ من الأئمة جرحوا بناءاً على معتقدهم وهم المخطئون والمجروح مصيب (٢).

وقال أيضا: قد استقرأت فلم أجد مؤرِّخاً ينتحل عقيدة ويخلو كتابه عن الغمز ممن يحيد عنها، سنة الله في المؤرخين، وعادته في النقل، ولا حول ولا قوة إلا بحبله المتين(٣).

قال ابن حجر: عاب جماعةٌ من الورعين جماعةً دخلوا في أمر الدنيا فضعفوهم لذلك، ولا أثر لذلك التضعيف مع الصدق والضبط (٤).

ولقد بلغ الخلاف بين أهل الرأي وأهل الحديث ذروته حتى قال الإمام أحمد بن حنبل: مازلنا نلعن أهل الرأي ويلعنوننا حتى جاء الشافعي فمزج بيننا(٥).

---

(١) هدى الساري لابن حجر ص٣٨٥ .
(٢) قاعدة في الجرح والتعديل للسبكي ص٣٥ .
(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤ / ١٦٢ .
(٤) هدى الساري لابن حجر ص٤٠٤ .
(٥) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض ١ / ٩١ .

قال الإمام مالك: ما في زماننا شيءٌ أقل من الإنصاف.

وعلَّق الإمام القرطبي على ذلك قائلاً: هذا في زمان مالك فكيف في زماننا اليوم الذي عمّ فيه الفساد، وكثر فيه الطعام، وطُلب فيه العلم للرياسة لا للدراية، بل للظهور في الدنيا، وغلبة الأقران بالمراء والجدال الذي يقسي القلب ويورث الضغن، وذلك مما يحمل عليه عدم التقوى، وترك الخوف من الله تعالى(١).

هذا في زمان القرطبي فكيف في الأزمان المتأخرة عنه والتي شاع فيها الجهل، وغلب فيها الحسد، والتنافس من أجل الدنيا، وأصبح المخالف يُرمى بالبدعة والكفر لأدنى خلاف، نسأل الله العفو والستر.

ولذلك يجب البحث والتحري، والدقة والتروي، وعدم التسرع في قبول كلام الأقران بعضهم في بعض خاصةً إذا ظهرت قرينة تؤكد صدوره بسبب الحسد أو المنافسة.

والعلماء لا يحسدون بالمعنى المذموم البغيض، وإن كان ينشأ بينهم نوعٌ من التنافس قد يجر إلى قليلٍ من الحسد فينشأ عنه كلام سوء، وخروج عن الجادة (٢)

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١ / ٢٤٥ .
(٢) كلام الأقران بعضهم في بعض لمصطفى باحو ص١٣،٤٠

الخاتمة

الحمد والثناء أول ما يجدر ذكره وأنا أسحب أشرعة البحث لأقف على ساحل النهاية، بعد رحلة نافعة في أروقة جَرح الأقران وكلام بعضهم في بعض فـ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾(١)، والخلاف أمر مركوز في الطبائع البشرية والفِطَر الإنسانية، ولا يمكن تصفيته من صفوف أهل العلم والفضل والصلاح،غير أن الخلاف لا يوجب قدحاً في المخالف طالما كان مقبولاً،ومبنياً على الاختلاف في فهم النص الشرعي،وقد يكون الخلاف لفظياً فقط فبعض الجمل حَمّالة أوجه فتجرّ إلى سوء الظن،وإساءة القول، ولعل غياب بعض القواعد التي أَصّلَها الشارع الحكيم في الخلاف ورّثت بعض ما نراه ونسمعه من الفجور في الخصومة،فغياب ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ(٢)﴾ورّث السخرية بالمخالف، وغياب﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾(٣)ورّثت الغلظة والقسوة، وغياب حديث جابر ﷺ«إن الشيطان قد أَيِسَ أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التَّحْرِيشِ بينهم»(٤)ورّث النفرة والجفوة.

(١) سورة الأعراف: ٤٣
(٢) سورة الأنبياء : ١٠٧
(٣) سورة طه: ٤٤
(٤) صحيح مسلم (٢٨١٢)

وحتى لاتطير النتائج التي وصلت إليها مع رياح صفحات البحث لا بد من ربطها في سارية أبرز النتائج، والتوصيات :

أبرز النتائج:

١. كلام الأقران بعضهم في بعض ضربان: كلام حق صائب وكلام باطل خطأ، وكل منهما نوعان: كلام لَيّن وكلام قاسي.

٢. أُجمل دواعي كلام الأقران بعضهم في بعض في أربعة أسباب: الغيرة والمنافسة، وطبيعة البشر فلم يسلم من الطعن أحد، والخلافات العقدية الموجبة للنفرة، واختلاف الاجتهاد مع التعصب وعدم الإنصاف.

٣. ولّدت الخلافات العقدية بين ابن منده وأبي نعيم نفرة ووحشة شديدة بينهما، حتى أن ابن منده كان يمنع طلاب العلم الذين سمعوا من أبي نعيم من حضور مجلسه!

٤. الاختلاف حق لكل شخص إن كان معه البينة والدليل وله أجر إن اجتهد وأخطأ، وأجران إن اجتهد وأصاب، لكن وحدة الصف واجتماع الكلمة واجب أمميّ، ومن مقتضيات الحكمة تقديم مصالح المجتمع، واعتبار إصلاحه إصلاحًا للأفراد دون العكس.

٥. مائُعت به أبو نعيم من الوصف بـ (الأشعرية والتشيع) تهم باطلة.

٦. العلماء لا يحسدون بالمعنى المذموم البغيض، وإن كان ينشأ بينهم نوعٌ من التنافس قد يجر إلى قليلٍ من الحسد فينشأ عنه كلام سوء، وخروج عن الجادة.

أبرز التوصيات:

١. العناية بتحرير الاختلافات بين رجال الحديث الأفذاذ.

٢. حصر تلك الاختلافات والخلوص بأسبابها .

٣. وضع خطوات عملية لعلاج أسباب الاختلاف.

٤. وضع خطط بديلة لعلاج الاختلاف

هذا ما تيسر لي من جهد المقل، ولا أدعي أني بلغت الكمال ولا كدت، فما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأ وسهو فأستغفر الله، وعذري أن ربي أبى لكتاب أن يَصِّحَ غير كتابه، قال عبد الله بن أحمد: عارضت بكتاب لأبي ثلاث عشرة مرة فلما كان في الرابعة خرج فيه خطأ، فوضعه من يده ثم قال: قد أنكرت أن يصح غير كتاب الله عز وجل(١).

ولسان حالي ما قاله الأول:

كم من كتاب قد تصفحته وقلت في نفسي أصلاحته
حتى إذا طالعته ثانياً وجدت تصحيفاً فصححته

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثير

(١) موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي ٦/١ .

المراجع :

- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، المؤلف: الزرعي، محمد بن أبي بكر ، أبو عبد الله، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
- أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية –عرض ونقد –المؤلف: ناصر القفاري، دار النشر: د.ن الطبعة: د.ط، ١٤١٤هـ .
- الباعث الحثيث، المؤلف: ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢.
- البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ، الناشر: دار الفكر، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م.
- تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان، المؤلف: أبو نعيم أحمد الأصبهاني، المحقق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، المؤلف: شمس الدين أبي عبد الله محمد الذهبي، تحقيق: د/ عمر بن عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، ط٢، (١٤١٠هـ).
- تاريخ بغداد، المؤلف: الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، المؤلف: المزي ، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، المحقق: عبد الصمد شرف الدين، طبعة: المكتب الإسلامي، والدار القيّمة، ط٢. ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- تذكرة الحفاظ، المؤلف: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الناشر: مطبعة فضالة – المحمدية، المغرب، ط١.
- التسعينية، المؤلف: ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن إبراهيم العجلان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠ هـ .
- التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ.
- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، المؤلف: ابن نقطة ، محمد بن نقطة الحنبلي البغدادي، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
- التمييز، المؤلف : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مكتبة الكوثر– السعودية، ط٣، ١٤١٠هـ.

- تهذيب اللغة، المؤلف : الأزهري ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول، المؤلف: ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط، (د.ط)، الناشر : مكتبة دار البيان، (د.ت).
- جامع بيان العلم وفضله، المؤلف: ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،(د.ط)، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني،(د.ط)، الناشر: السعادة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.
- درء تعارض العقل والنقل، المؤلف: ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.

- الرد الوافر، لمحمد بن عبد الله بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ.
- (الأحاديث المرفوعة المعلة في كتاب حلية الأولياء من ترجمة طاووس بن كيسان إلى نهاية ترجمة مسعر بن كدام)، الغامدي ، سعيد بن صالح الرقيب، رسالة دكتوراه ، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٥هـ.
- (منهج الحافظ أبي عبدالله بن منده في الحديث وعلومه ، دراسة موازنة)،المقبل، عمر بن عبدالله، رسالة دكتوراه، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٧هـ.
- رسالة في القرآن وكلام الله، المؤلف: ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي، المحقق: يوسف بن محمد السعيد، الناشر: دار أطلس الخضراء، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ.
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تأليف: الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الاصبهاني، الناشر: الدار الاسلامية، ط١، منقحة ومصححة ١٩٩١م.
- سير أعلام النبلاء ، المؤلف: الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المؤلف: ابن العماد ، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ .
- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: أبو قتيبة الفاريابي، طبعة دار السلام بالرياض، ط٢، ١٤٢١هـ .
- طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، المحقق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.
- طبقات الشافعية، المؤلف: ابن قاضي شهبة ، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- العرش وما روي فيه، المؤلف: محمد بن عثمان بن أبي شيبة العبسي أبو جعفر، تحقيق : محمد بن حمد الحمود، الناشر: مكتبة المعلا – الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ.
- ضوابط الجرح والتعديل، لعبد العزيز العبد اللطيف، ، دار النشر: العبيكان، الرياض، ط٢، ١٤٢٨ هـ.
- طبقات الحنابلة، المؤلف: أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، المحقق: محمد حامد الفقي، (د.ط)، الناشر: دار المعرفة – بيروت(د.ت).

- العبر في خبر من غبر ،شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، الناشر مطبعة حكومة الكويت- الكويت، ١٩٨٤م.
- غاية النهاية في طبقات القراء، المؤلف: ابن الجزري ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، (د.ط)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ.
- الفتاوى الكبرى، المؤلف: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- قاعدة في الجرح والتعديل المؤلف: السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: دار البشائر - بيروت، ط٥، ١٤١٠هـ.
- كلام الأقران بعضهم في بعض أسبابه ونتائجه لد. أيمن محمود مهدي،(د.ن)،(د.م)، ط١، ١٤٢٧هـ.
- كلام الأقران بعضهم في بعض، لمصطفى باحو، الناشر : دار الضياء، ط١، ١٤٢٦هـ.
- لسان العرب، المؤلف: ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، الناشر: دار صادر - بيروت، ط٣ - ١٤١٤هـ .
- مجموع الفتاوى، المؤلف: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم،(د.ط)،

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ.

- معجم البلدان، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، الناشر: دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
- معرفة علوم الحديث المؤلف: الحاكم ، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، (د.ط)، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ،١٤٠١ هـ .
- مقدمة فتح الباري لابن حجر بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز،(د.ط)، بدار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ.
- الملل والنحل، المؤلف: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق : محمد سيد كيلاني، (د.ط)، دار المعرفة – بيروت، ١٤٠٤هـ.
- موضح أوهام الجمع والتفريق، للخطيب، تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، ط١، بدار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، تأليف: عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م.
- موقف علماء الجرح والتعديل من جرح الأقران لد. عماد عبدالسميع، دار المأثور، ط١، ١٤٣٥هـ
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق: علي البجاوي، بدار المعرفة، (د. ط)، بيروت(د.ت).

- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، المؤلف: لابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المحقق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الناشر: مطبعة سفير بالرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير أبي السعادات ، تحقيق: طاهر الزاوى، ومحمود الطناحي، (د. ط)، بإحياء التراث العربي، مكة المكرمة، (د.ت).
- الوافي بالوفيات، للصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى،(د. ط)، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس،(د. ط)، الناشر: دار صادر – بيروت ، (د.ت).
- الموقع الإلكتروني: دليل السياحة في إيران.